

تفسير ابن كثير

يقول اﷻ تعالى وما عظموا اﷻ حق تعظيمه إذ كذبوا رسله إليهم قال ابن عباس ومجاهد وعبد اﷻ بن كثير : نزلت في قريش واختاره ابن جرير وقيل نزلت في طائفة من اليهود وقيل في فنخاص رجل منهم وقيل في مالك بن الصيف { قالوا ما أنزل اﷻ على بشر من شيء } والأول أصح لأن الآية مكية واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد صلى اﷻ عليه وسلّم لأنه من البشر كما قال { أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس } وكقوله تعالى : { وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث اﷻ بشراً رسولا * قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا } وقال ههنا { وما قدرُوا اﷻ حق قدره إذ قالوا ما أنزل اﷻ على بشر من شيء } قال اﷻ تعالى : { قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس } أي قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند اﷻ في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة { من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى } وهو التوراة التي قد علمتم وكل أحد أن اﷻ قد أنزلها على موسى بن عمران نورا وهدى للناس أي ليستضاء بها في كشف المشكلات ويهتدى بها من ظلم الشبهات وقوله { تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً } أي تجعلون جملتها قراطيس أي قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون وتقولون هذا من عند اﷻ أي في كتابه المنزل وما هو من عند اﷻ ولهذا قال { تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً } وقوله تعالى : { وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم } أي ومن أنزل القرآن الذي علمكم اﷻ فيه من خبر ما سبق ونبأ ما يأتي مالم تكونوا تعلمون ذلك لا أنتم ولا آباؤكم وقد قال قتادة : هؤلاء مشركو العرب وقال مجاهد هذه للمسلمين وقوله تعالى : { قل اﷻ } قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس أي قل اﷻ أنزله وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة لا ما قاله بعض المتأخرين من أن معنى { قل اﷻ } أي لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة كلمة [اﷻ] وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمراً بكلمة مفردة من غير تركيب والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها وقوله { ثم ذرهم في خوضهم يلعبون } أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من اﷻ اليقين فسوف يعلمون ألهم العاقبة أم لعباد اﷻ المتقين ؟ وقوله { وهذا كتاب } يعني القرآن { أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى } يعني مكة { ومن حولها } من أحياء العرب ومن سائر طوائف بني آدم ومن عرب وعجم كما قال في الآية الأخرى { قل يا أيها الناس إني رسول اﷻ إليكم جميعاً }

وقال { لأندركم به ومن بلغ } وقال { ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده } وقال { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا } وقال { وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ واني بصير بالعباد } وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي] وذكر منهم [وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة] ولهذا قال { والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به } أي كل من آمن بالله واليوم الآخر يؤمن بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن { وهم على صلاتهم يحافظون } أي يقيمون بما فرض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها